



أسباب ورود الحديث وأثرها في فهم السنَّة

د. يسري سعد عبد الله

Vertical line on the left side of the page.

أسباب ورود الحديث وأثرها في فهم السنة

د/ يسري سعد عبدالله (★)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإن أسباب ورود الحديث تُعد من العوامل الرئيسية التي يتوقف عليها فهم النص النبوي، إذ إن سبب الورود هو الحال، والمناخ الذي ورد فيه النص، وإذا أراد المجتهد، أو الفقيه، أو المحدث أن يفهم معنى الحديث فلا يتسنى له ذلك إلا بمعرفة الظروف، والملابسات التي قيل فيها الحديث، وهو ما يسمى بسبب الورود، وكما أن سبب نزول الآية يعين على فهم معناها فهماً بعيداً عن الهوى والخطأ فكذلك سبب الورود.

(★) الأستاذ المساعد بقسم السنة وعلوم الحديث - كلية أصول الدين - جامعة أم درمان الإسلامية - السودان.

ومن المعلوم أن القرآن والسنة صالحان لكل زمان ومكان وذلك لا يعني أن كل الحوادث والمستجدات لابد أن تكون موجودة بنصها في الكتاب والسنة، بل إن الثوابت والأصول والقواعد التي أثبتت في الكتاب والسنة تصلح لأن يقاس عليها ما يطرا من نوازل وطوارئ، فقط تحتاج إلى علماء أفاض تجردوا عن الهوى والعصبية، لديهم آليات القياس والمقابلة بين ما ورد فيه النص، وما لم يرد فيه، وليت شعري كيف ساغ لبعض محترفي الغزو الفكري أن يصفوا الشرع بالقصور في عدم استيعاب النوازل والحوادث فجرهم هذا الوهم الباطل، والخيال الفاسد إلى ادعاء التجديد الفكري في الشريعة الإسلامية، زاعمين أن ما أحدثوه من تجديد في بعض الأحكام إنما هو لعدم وجود النص القاطع فيها، فكان من نتيجة هذه الجراءة على الدين وأحكامه أن أخرجت لنا عقولهم مسائل تمجها الأسماع والقلوب، وتلفظها القواعد الشرعية، وتشمئز منها الخواطر النيرة.

هذا ومن أجل الأهمية البالغة لأسباب ورود الحديث، فقد رأيت تسليط الضوء على مباحث مهمة لها علاقة بأسباب ورود الحديث . وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وفصلين، وخاتمة وفهارس، أسأل الله تعالى أن يخرج هذا البحث بصورة مرضية ابتغاء لرضوانه، وطلباً لامتنانه وهو حسبي ونعم الوكيل.

الفصل الأول: أسباب الورود

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف السبب لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني: تعريف سبب الورود عند المحدثين.

المبحث الثالث: فائدة معرفة سبب الورود.

المبحث الرابع: العلاقة بين سبب النزول في الآية

وسبب الورود في الحديث.

المبحث الخامس: أقسام الورود في الحديث

المبحث الأول : تعريف السبب لغة واصطلاحاً

السبب لغة هو: كل شيء يتوصل به إلى غيره، والجمع أسباب، وكل شيء يتوصل به إلى الشيء فهو سبب، وجعلت فلاناً لي سبباً إلى فلان في حاجتي وودجاً أي وُصلة وذريعة، ويطلق السبب على الحبل. ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾. أي فليمدد حبلًا في سقفه ثم ليقطع أي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً^(١). والسبب في العرف العام: هو كل شيء يتوصل به إلى مطلوب^(٢).

أما السبب في اصطلاح علماء الشريعة: فهو عبارة عما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه، والسبب التام هو الذي يوجد المسبب بوجوده فقط، والسبب غير التام هو الذي يتوقف وجود المسبب عليه، لكن لا يوجد المسبب بوجوده فقط^(٣).

أما في اصطلاح الأصوليين فالأسباب هي التي أضيفت الأحكام إليها كقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُنُوكَ الشَّمْسِ...﴾ (الإسراء: ٧٨) وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ...﴾ (البقرة: ١٨٥) وذلك لأنه لما عسر على الخلق معرفة خطاب الله تعالى في كل حال لاسيما بعد انقطاع الوحي أظهر الله سبحانه خطابه لخلقه بأمور محسوسة نصبها أسباباً

(١) سورة الحج الآية (١٥)، ابن العرب - للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ٤٥٨/١، ٤٥٩ بتصرف.

(٢) كشف اصطلاحات الفنون للإمام التهانوي ٣١٥/٢ باب السين - فصل الباء.

(٣) التعريفات للإمام الجرجاني، ص ١٢٠.

لأحكامه، وجعلها موجبة ومقتضية للأحكام على مثال اقتضاء العلة الحسية معلولها^(١).

* الفرق بين السبب والعلة:

إن مما يجدر ذكره في هذا المبحث أن نبين الفرق بين السبب والعلة لئلا يتوهم شخص أنهما مترادفان.

فالسبب وصف ظاهر منضبط بخلاف العلة، كما كان حصول النصاب سبباً في وجوب الزكاة، والزوال سبباً لوجوب صلاة الظهر، والعقود أسباباً في إباحة الانتفاع أو انتقال الأملاك. أما العلة فالمراد بها الحكم والمصالح التي تعلق بها الأوامر والإباحة والمفاسد التي تعلق بها النواهي فالمشقة علة في إباحة القصر والفطر في السفر، والسفر هو السبب الموضوع للإباحة، فالعلة هي المصلحة نفسها أو المفسدة لا مظنتها كانت ظاهرة أم لا منضبطة أم لا^(٢).

(١) انظر المستصفي من علم الأصول للإمام الغزالي ٩٣/١ بتصرف.

(٢) انظر الموافقات في أصول الشريعة، للإمام الشاطبي ٢٦٥/١ بتصرف.

المبحث الثاني : معنى سبب الورد عند المحدثين:

سبب الورد بالنسبة للحديث يشبه إلى حد كبير سبب النزول بالنسبة للآية ولذلك يمكن أن يُقاس عليه في التعريف، فسبب نزول الآية عند علماء التفسير: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أي مبينة لحكمه أيام وقوعه^(١).

أما سبب ورود الحديث: فهو ما ورد الحديث بشأنه في وقت وقوعه.

قوله "ما ورد الحديث" خرج بذلك سبب نزول الآية.

قوله "بشأنه" خرجت الأحاديث الابتدائية التي لم تُذكر متحدثة عن سبب أو قصة أو غير ذلك.

قوله "وقت وقوعه" خرج به ما ورد من أسباب جاءت في غير وقت وقوع الحديث كالأسباب التي جاءت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، أو ورد سؤال لأحد الصحابة فاستشهد ذلك الصحابي بحديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهنا لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وقت وقوع السبب بل هذا من قبيل تنزيل الأحاديث على الوقائع المختلفة وهذا يرجع إلى اجتهاد المجتهد^(٢).

(١) انظر الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ٨٢/١، ومناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني ٧٦/١.

(٢) انظر موقع شبكة السنة النبوية وعلومها - الحلقة (٤) بتصرف WWW. AlSunnah. Com.

مثال ما ورد الحديث بسببه في وقت وقوعه حديث اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً من فضة^(١) وجعل نقشه "محمد رسول الله" لأنه صلى الله عليه وسلم كتب كتاباً أو أراد أن يكتب فقبل له: (إنهم لا يعرفون كتاباً إلا مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة نقشه "محمد رسول الله، كاني أنظر إلى بياضه)^(٢).

(١) الحديث أخرجه البخاري في (٣) كتاب العلم (٧) باب ما يذكر في المناولة... الخ ٢٧/١ حديث رقم ٦٥ عن أنس بن مالك. وأخرجه مسلم في كتاب اللباس - باب في اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً... الخ ٥٧/١٤ حديث رقم ٢١٩٢ عن أنس بن مالك.

(٢) انظر النكت على مقدمة ابن الصلاح للحافظ ابن حجر ٧٢/١.

المبحث الثالث : فائدة معرفة سبب الورد:

إن الفوائد التي تؤخذ من سبب الورد بالنسبة للحديث، أو سبب النزول بالنسبة للآية تكاد تتحد من حيث إن كلا من الكتاب والسنة مصدران تشريعيين ثابتان لا تفهم معاني الألفاظ فيهما إلا بتوفر مواد كثيرة، منها سبب ورود النص، ولذلك أجمل العلماء فوائد معرفة أسباب النزول - وهي بعينها تعتبر فوائد لمعرفة أسباب الورد - فيما يلي:

- ١- وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم^(١)، وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن، أما المؤمن فيزداد إيماناً على إيمانه، ويحرص كل الحرص على تنفيذ الأحكام الشرعية والعمل بمقتضاها لما يتجلى له من المصالح والمزايا. أما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفاً حيث يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان لا على الاستبداد والتحكم والطغيان^(٢).
- ٢- الوقوف على المعنى، وذلك لأن سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا^(٣).

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ١١٧/١.

(٢) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن ٧٨/١ بتصريف.

(٣) البرهان في علوم القرآن ، مرجع سابق ١١٧/١ بتصريف.

- ٣- تيسير الحفظ، وتسهيل الفهم، وثبوت النص في ذهن كل من يسمعه إذا عرف سببه، وذلك لأن ر
- ٤- بط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص، والأزمنة والأمكنة كل ذلك من دواعي تقرر الأشياء، وانتقاشها في الذهن وسهولة استذكارها^(١).
- ٥- تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب^(٢).
- ٦- أن اللفظ قد يكون عامًا ويقوم الدليل على تخصيصه فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع^(٣).
- ٧- دفع توهم الحصر، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا... ﴾ فإن الكفار لما حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله وكانوا على المضادة والمحادثة جاءت الآية مناقضة لغرضهم فكانه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه، ولا حرام إلا ما أحللتموه نازلة منزلة من يقول: لا تأكل اليوم حلاوة، فتقول: لا أكل اليوم إلا الحلاوة والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة فكانه قال: لا حرام إلا ما حلتتموه من الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، ولم يقصد حل ما وراءه إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل^(٤).

(١) للمرجع السابق للزرقاني ٨١/١ بتصرف.

(٢) الإفتان في علوم القرآن - للسيوطي ٢٩/١.

(٣) الإفتان في علوم القرآن للسيوطي ٢٩/١ بتصرف.

(٤) سورة الأنعام الآية (١٤٥)، انظر الرسالة للإمام الشافعي ٢٠٦، ٢٠٧ بتصرف.

مسألة: هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟

اختلف أهل الأصول هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب والأصح الأول، وقد نزلت آيات في أسباب وانفقوا على تحديثها إلى غير أسبابها كنزول آية الظهار في سلمة بن صخر وآية اللعان في شأن هلال بن أمية وحدث القذف في رماة السيدة عائشة ثم تعدى إلى غيرهم، ومن لم يعتبر عموم اللفظ قال خرجت هذه الآية ونحوها لدليل آخر كما قصرت آيات على أسبابها اتفاقاً لدليل قام على ذلك^(١).

قد عُلِمَ مما تقدم أن سبب ورود الحديث يساعد في فهم المراد من الحديث لكنه لا يخصص عموم ألفاظه، فإذا جاء الحديث على سبب خاص فلا يصح أن يخصص الحكم المستفاد من هذا الحديث بهذا السبب ولا يتعداه إلى غيره بل الراجح كما هو مقرر أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^(٢).

قال الإمام الغزالي: سبب ورود العام على سبب خاص لا يسقط دعوى العموم، وقال قوم يسقط عمومه وهو خطأ^(٣).

(١) انظر المرجع السابق للسيوطي ٣٠/١ بتصرف.

(٢) انظر الإبهاج في شرح المنهاج للإمام السبكي ١٨٥/٢ بتصرف.

(٣) انظر المستقصى في علم الأصول للإمام الغزالي ٢٣٦/١ بتصرف.

المبحث الرابع : علاقة سبب ورود الحديث بسبب نزول الآية في القرآن الكريم :

يستطيع الباحث والناظر في موضوع سبب ورود الحديث وسبب نزول الآية أن يجد تشابهاً بينهما وذلك في نواحي عدة ذكر أهل العلم منها:

- في الفائدة: فإن كلا منهما يعين على فهم المراد، والجمع أو الترجيح عند التعارض^(١).
- في تعدد السبب: حيث يكون للآية أكثر من سبب، ومثل ذلك يأتي في الحديث، فمثال ما جاء في الآيات ما ذكره الإمام الواحدي^(٢) في كتابه أسباب النزول في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾^(٣) حيث قال في سبب نزول هذه الآية:

(١) انظر مقدمة تحقيق كتاب التمع في أسباب الحديث ص ٢١.

(٢) هو الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري، الشافعي، صنف التفسير الثلاثة، وأسباب النزول، تصدر للتحرير وعظم شأنه، كان طويلاً الباع في العربية واللغات، مات بنيسابور سنة ثمان وستين وأربع مائة. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/١٦٩، ١٧٠ ص ٣٣، ٣٤ بصرف.

(٣) سورة البقرة الآية رقم (١٩٥).

١. نزلت في الأنصار أمسكوا عن النفقة في سبيل الله حيث إن الأنصار كانوا يتصدقون، ويطعمون ما شاء الله فأصابتهم سنة^(١) فأمسكوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية.
٢. كان الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر لي فأنزل الله تعالى هذه الآية.
٣. عن الحكم بن عمران قال: كنا بالقسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة بن عامر الجهني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج من المدينة صف عظيم من الروم وصفنا لهم صفا عظيماً من المسلمين فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم ثم خرج إلينا مقبلاً فصاح الناس فقالوا: سبحان الله ألقى بيديه إلى التهلكة فقام أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية على غير التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار أنا لما أعز الله تعالى دينه، وكثر ناصر به قلنا بعضنا لبعض سراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أموالنا قد ضاعت فلو أننا أقمنا فيها، وأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله تعالى في كتابه يرد علينا ما هممنا به فقال أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم

(١) سنة: أي جدب، انظر غريب الحديث لابن الجوزي ١/٥٠٣.

إلى التهلكة في الإقامة التي أردنا أن نقيم في الأموال
فنصلحها فأمرنا بالغزو فمزال أبو أيوب غازياً في سبيل الله
حتى قبضه الله عز وجل.

مثال ما ورد فيه للحديث أكثر من سبب للورود ما أورده الإمام
السيوطي^(١) في كتابه أسباب ورود الحديث^(٢) في قوله صلى الله عليه
وسلم: (من نام عن صلاة أو نسيها فكفارتها أن يصلّيها إذا ذكرها، لا
كفارة لها إلا ذلك، أقم الصلاة لذكركي)^(٣).

قد ذكر من أسباب للحديث ما يلي:

١- عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
أسرى به نام حتى طلعت الشمس فصلى وقال: (من نام عن الصلاة أو
نسيها فليصلها حين ذكرها ثم قرأ ﴿أقم الصلاة لذكركي﴾^(٤).

(١) هو الإمام عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي جلال الدين إمام حافظ مورخ أديب له نحو ٦٠٠
مصنف، نشأ في القاهرة يتيماً ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وخلا بنفسه فألف أكثر كتبه، وظليه
السلطان مراراً فلم يحضر إليه ولمسل له هدياً فردها وبقي على ذلك إلى أن توفي عام ٩١١هـ. انظر
الأعلام للزركلي ٧١/٤ بتصرف.

(٢) انظر ص ٨٩-٩٣.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في (٩) كتاب مواعيت الصلاة (٣٧) باب من نسي صلاة... الخ ١٣٨/١
حديث رقم ٥٩٧ عن أنس بن مالك مثله، وأخرجه مسلم في (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٥) باب
قضاء الصلاة الفائتة... الخ ١٥٧-٥ حديث رقم ٦٨٤ عن أنس بن مالك مثله.

(٤) الحديث أخرجه مسلم مطولاً في (٥) كتاب المساجد (٥٥) باب قضاء الصلاة الفائتة... الخ ١٥٧/٥
حديث رقم ٦٨٠ عن أبي هريرة نحوه. وأخرجه النسائي في (٦) كتاب المواعيت (٥٤) باب إعادة من نام
عن الصلاة... الخ ٤٢٦/١ حديث رقم ٦١٧، ٦١٨ عن أبي هريرة نحوه.

مسألة: إن قيل كيف نام النبي صلى الله عليه وسلم عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس مع قوله صلى الله عليه وسلم: (إن عيني تنام ولا ينام قلبي). فجوابه أنه لا منافاة بينهما، لأن القلب إنما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والألم ونحوهما ولا يدرك طلوع الفجر وغيره مما يتعلق بالعين، وإنما يدرك ذلك بالعين، والعين نائمة وإن كان القلب يقظان^(١).

٢- عن أبي قتادة قال: ذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم نومهم عن الصلاة فقال: (إنه ليس في النوم تقريط، إنما التقريط في اليقظة فإذا نسي أحدكم صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها)^(٢).

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٥١/٥ بتصريف.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في (٥) كتاب المساجد (٥٥) باب قضاء الصلاة الفائتة... الخ ١٥١/٥ حديث رقم ٦٨١ عن أبي قتادة نحوه مطولاً. وأخرجه أبو داود في (٢) كتاب الصلاة (١١) باب من نام عن صلاة أو نسيها ١٦٠/١ حديث رقم ٤٣٧ عن أبي قتادة نحوه. وأخرجه الترمذي في (٢) كتاب الصلاة (١٣٠) باب ما جاء في النوم عن الصلاة ٤٦٥/١ حديث رقم ١٧٧ عن أبي قتادة نحوه.

هذا ومن علاقة سبب نزول الآية بسبب ورود الحديث:

- مجيء الآية سبباً لورود الحديث أو الحديث سبباً لنزول الآية:

فمثال ما جاءت فيه الآية سبباً لورود الحديث كما في قوله تعالى:
﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾^(١)،
فهذه الآية لما نزلت أشكل على الصحابة معنى الظلم فعن عبدالله بن
مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال
أصحابه: وأينا لم يظلم؟ فنزلت: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

مثال ما جاء فيه الحديث سبباً لنزول الآية أن كعب بن عجرة رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمله يسقط على وجهه فقال: (أيؤذيك
هوأمك؟) قال: نعم فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلق وهو
بالحديبية لم يبين لهم أنهم يحلون بها، وهم على طمع أن يدخلوا مكة

(١) سورة الأنعام الآية رقم (٨٢).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في (٦٥) كتاب تفسير القرآن (٣) باب (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) ٤٢٤/٢
حديث رقم ٤٦٢٩ عن ابن مسعود مثله. وأخرجه مسلم في (١) كتاب الإيمان (٥٦) باب صدق الإيمان
وإخلاصه ١١٧/٢ حديث رقم ١٢٤ عن ابن مسعود نحوه.

فأنزل الله الفدية فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطعم فرقاً^(١) بين ستة مساكين، أو يُهدي شاة، أو يصوم ثلاثة أيام^(٢).

بذلك يمكن أن نخلص في العلاقة بين سبب نزول الآية وسبب ورود الحديث إلى الأمور الآتية:

- هناك علاقة وثيقة بين معرفة أسباب نزول القرآن، وأسباب ورود الأحاديث بين فهم المعنى الصحيح والوقوف عليه.
- كل من أسباب نزول القرآن وأسباب ورود الحديث يكون على طريقة أهل الحديث دون غيرهم.
- كل ما صح من أسباب نزول القرآن، وأسباب ورود الحديث يكون حكمه الرفع وإن لم يُنص على ذلك^(٣).

(١) فرقاً: الفرقى: اثنا عشر مذباً. انظر غريب الحديث لابن الجوزي ١٨٩/٢.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب المغازي (٣٥) باب غزوة الحبيبية ٣١٩/٢ حديث رقم ٤١٥٩ عن كعب بن عجرة مثله. وأخرجه مسلم في (١٥) كتاب الحج (١٠) باب جوائز حلق الرأس للمحرم... الخ ٩٦/٨ حديث رقم ١٢٠١ عن كعب بن عجرة نحوه.

(٣) انظر: موقع شبكة السنة النبوية وعلومها الحلقة (٩) بتصرف WWW. Alssunnah.com.

المبحث الخامس: أقسام ورود الحديث:

إن المنتبِع لأسباب ورود الحديث يجدها غالبًا لا تخلو من أن تكون نوعًا من الأنواع الآتية:

النوع الأول: آية قرآنية: وذلك بأن يكون الحديث متعلقًا بأمر ورد في الآية إما شرحًا، أو بيانًا، أو إزالة إشكال، أو تقريرًا لمعنى الآية، ومثال ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من مولود يولد^(١) إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها^(٢)) ثم يقول أبو هريرة: وأقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٣) (آل عمران: ٣٦).

النوع الثاني: أن يكون السبب حديثًا: وذلك بأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم ذكر كلامًا فيشكل على بعض الصحابة فيسألون لمزيد العلم والتحقق والتثبت فيبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما أشكل فهمه

(١) ظاهر الحديث أن هذه المزية خاصة بسيدنا عيسى وأمه، ولكن جميع الأنبياء يتشاركون فيها إذ أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشيطان بكل وجه. انظر إكمال المعلم بقوائد مسلم للقاضي عياض ٣٣٨/٧ بتصرف.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في (٦٥) كتاب التفسير (٢) باب ((وإني أعوذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)) ٤٠٢/٢ حديث رقم ٤٥٤٨ عن أبي هريرة مثله وأخرجه مسلم في (٤٣) كتاب الفضائل (٤٠) باب فضائل عيسى عليه السلام ١٠٢/١٥ حديث رقم ٢٣٦٦ عن أبي هريرة نحوه.

(٣) سورة آل عمران الآية رقم (٣٦).

عليهم، فمثال ذلك ما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ذروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)^(١).

فهذا الحديث جاء في رواية مسلم موضعاً لسؤال وقع من أحد الصحابة وروايته كما يلي: عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا) فقال رجل أكلت عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم) ثم قال: (ذروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)^(٢).

النوع الثالث: ^(٣) أن يكون السبب أمراً يتعلق بأحد الصحابة، ومثال ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة من خثعم عام حجة الوداع قالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج

(١) الحديث أخرجه البخاري في (٩٦) كتاب الاعتصام (٢) باب الاقتداء بمنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٢٤/٣ حديث رقم ٧٢٨٨ عن أبي هريرة نحوه. وأخرجه مسلم في (١٥) كتاب الحج (٧٣) باب فرض الحج مرة في العمر ٨٥/٩ حديث رقم ١٣٣٧ عن أبي هريرة نحوه.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٢ واللفظ لمسلم.

(٣) انظر مقدمة تحقيق كتاب اللمع في أسباب الحديث، ص ١٩.

أدرکت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على الراحة فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ قال: (نعم)^(١).

في حديث آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أُمِّي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: (نعم حجي عنها أرايت لو كان على أُمكِ دينٌ أكننت قاضيه؟ اقضوا الله فأنه أحق بالوفاء)^(٢).

(١) الحديث أخرجه البخاري في (٢٨) كتاب جزاء الصيد (٢٢) باب الحج ممن لا يستطيع الثبوت على الراحة ٤٥٠/١ حديث رقم ١٨٥٤. وأخرجه مسلم في (١٥) كتاب الحج (٧١) باب الحج عن العاجز ٨٢/٩ حديث رقم ١٣٣٤ عن ابن عباس نحوه.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في (٨٢) كتاب الأيمان والنذور (٣٠) باب من مات وعليه نذر ٢٨٧/٢ حديث رقم ٦٦٩٩ عن ابن عباس نحوه. وأخرجه النسائي في (٢٤) كتاب مناسك الحج (٨) باب الحج عن الميت الذي لم يحج ٨٢/٣ حديث رقم ٢٦٣٢ عن ابن عباس نحوه.

الفصل الثاني: تطبيق سبب الورود على بعض

الأحاديث. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: حديث (إنما الأعمال بالنيات).

المبحث الثاني: حديث (إن أبي وأبيك في النار).

المبحث الثالث: تحية المسجد وحديث سئلك.

المبحث الرابع: حديث (قاتل الله اليهود والنصارى...).

المبحث الأول: حديث (إنما الأعمال بالنيات):

هذا الحديث من جوامع الكلم التي خصَّ بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أنه من الأحاديث التي عليها مدار الأحكام في كثير من الأمور، لأنه ما من أمر تعبدى إلا وهو يفتقر إلى نية. وقد صنف الإمام السيوطي (رحمه الله تعالى) كتاباً كاملاً في شرح هذا الحديث سماه (منتهى الأمال في شرح حديث إنما الأعمال) وقد ابتدأ به الإمام البخاري صحيحه ونص الحديث كما يلي:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرٍ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)^(١).

سبب الحديث: ذكر الإمام العيني^(٢) على شرح البخاري^(٣) أن سبب هذا الحديث هو ما اشتهر بين المحدثين من قصة مهاجر أم قيس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها

(١) الحديث أخرجه البخاري في (١) كتاب بدء الوحي (١) باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٩/١ حديث رقم ١ عن عمر بن الخطاب مثله. وأخرجه مسلم في (٣٣) كتاب الإمارة (٤٥) باب قوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنية ٤٦/١٣ حديث رقم ١٩٠٧ عن عمر بن الخطاب نحوه.

(٢) هو الإمام العلامة الكبير بدر الدين أبو محمد محمود الحلبي الأصل، العيني المولد المعروف بالبدر العيني إمام عصره في المعقول والمنقول ملأ خزائن العلم بمصنفاته الجليلة توفي سنة ٨٥٥هـ بالقاهرة ودفن بمدرسته. انظر مقدمة عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١/٧، ٨ بتصرف.

(٣) انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١/٢٨ بتصرف.

أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس^(١).

قد تبين مما تقدم أن هذا الحديث واقع على سبب لأن رجلاً هاجر من مكة إلى المدينة لا يريد بذلك فضيلة الهجرة وإنما هاجر ليتزوج امرأة تسمى أم قيس، فسمي مهاجر أم قيس، ولهذا خص في الحديث ذكر المرأة دون سائر ما ينوي به الهجرة من أفراد الأغراض الدنيوية^(٢).

يؤخذ من فوائد هذا الحديث أن في النص زيادة على السبب لأن الحديث سيق في قصة المهاجر ليتزوج المرأة، فذكر الدنيا مع القصة زيادة في التحذير والتنفير، وفيه إشارة إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^(٣).

المبحث الثاني: حديث (إن أبي وأباك في النار):

يعد هذا الحديث من الأحاديث التي يشتبه فهمها على كثير من الناس لا سيما الجهلاء منهم، فترى البعض يسمي الأدب في المجامع العامة وبالأسواق، فيحكم على والدي النبي صلى الله عليه وسلم بأنهما من أهل النار مستنداً على فهمه لظاهر هذا الحديث من غير تحقيق ولا

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ١٠٦/٨ حديث رقم ٨٥٤٠، وقال البيهقي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٠١/٢ ورجاله رجال الصحيح، وقال العيني: إسناده رجال ثقات.

(٢) انظر منتهى الآمال في شرح حديث إنما الأصنام للإمام السيوطي ص ٥١.

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر المسقلائي ٢٥/١ بتصرف.

تثبت ولا ترو، وسننين آراء المحدثين في شرح هذا الحديث بما يتفق مع عقيدة المؤمن المعظم لجناب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمتباعد من أذيته عليه الصلاة والسلام. ولفظ الحديث كما رواه مسلم^(١) عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: (في النار) فلما قفي دعاه فقال: (إن أبي وأباك في النار).

قوله: (فلما قفي) أي ولى قفاه منصرفاً^(٢).

قوله: (إن أبي وأباك في النار) هو من حسن العشرة للتسليية بالاشتراك في المصيبة^(٣).

وقد ذكر الإمام الحافظ السيوطي أن من العجيب أن يُقطع بكون أبوي النبي صلى الله عليه وسلم (إن أبي وأباك في النار) ونحوه من الأحاديث ويلغى ما عارضه بالكلية، وللمسألة نظير صحيح للناس فيها خلاف وهي مسألة أطفال المشركين، فقد ورد في أحاديث كثيرة الجزم بأنهم في النار، وفي أحاديث قليلة أنهم في الجنة وصح الجمهور هذا منهم النووي وقال: إنه المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه

(١) في (١) كتأب الإيمان (٨٨) باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار... الخ ٦٣/٢ حديث رقم ٣٤٧ عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وأخرجه أبو داود في (٣٤) كتاب السنة (١٧) باب في ذراري المشركين ٢٣٥/٣ حديث رقم ٤٧١٨ عن أنس بن مالك نحوه.

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٦٣/٢ بتصريف.

(٣) نفس المرجع السابق ٦٣/٢ بتصريف.

المحققون لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(١)، وذكر غيره أن أحاديث كونهم في النار منسوخة بأحاديث كونهم في الجنة^(٢).

هذا وقد كان من عادته صلى الله عليه وسلم إذا سأله أعرابي وخاف من إفصاح الجواب له فنتته واضطراب قلبه، أجابه بجواب فيه تورية وإيهام، كالحديث الذي أخرجه البخاري^(٣) أنه صلى الله عليه وسلم سأله رجل عن الساعة فنظر إلى أحدث القوم سنا فقال: (إن يستفد هذا عمره لم يمّت تقوم الساعة).

قال العلماء: كان العلماء يسألونه كثيرا عن الساعة فخشي صلى الله عليه وسلم من قوله: لا أعلمها فنتتهم وشكهم فأجابهم بجواب فيه تورية ومراده إن بلغ هذا الغلام أقصى العمر لم يمّت حتى تقوم على الحاضرين ساعتهم بأن يموتوا، وقيام ساعة كل واحد موته.

إذا علم ذلك فالذي يفهم من هذا الحديث: (إن أبي وأباك في النار) ليس رواية باللفظ بل رواها الراوي بالمعنى فوهم ذلك وإنما تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلام موري فهم منه السامع فقال^(٤).

(١) سورة الإسراء الآية رقم (١٥).

(٢) انظر المقامات السنديّة في النسبة المصطفوية للسيوطي ١٦٠، ١٦١ بتصرف.

(٣) بعد البحث الدقيق في البخاري وغيره لم أجد هذا الحديث ولعل الإمام السيوطي رواه بالمعنى والله أعلم.

(٤) انظر المقامات السنديّة للسيوطي ص ١٧٢، ١٧٣ بتصرف.

هذا وقد ذكر العلامة ابن حجر الهيتمي^(١): إن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أكرمه الله تعالى بحياة أبويه له حتى أمنا به فانتفعا بالإيمان بعد الموت على خلاف القاعدة إكراماً لنبيه صلى الله عليه وسلم.

قال ابن عابدين^(٢): هذا لا ينافي ما جاء في صحيح مسلم (استأذنت ربي أن استغفر لأمي فلم يأذن لي)^(٣) وما فيه أيضاً (أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفا دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار)^(٤) لإمكان أن يكون الإحياء بعد ذلك.

قال القرطبي وابن دحية وغيرهما لم تزل فضائله صلى الله عليه وسلم، خصائصه تتوالى وتتابع إلى حين وفاته فيكون هذا مما فضله الله تعالى به وأكرمه، وليس إحياءهما وإيمانهما به ممتنعاً عقلاً ولا سمعاً، فقد أحى قتيل بني إسرائيل حتى أخبر بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيى الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيا الله على يديه جماعة من الموتى وحينئذ فأي مانع من إحيائهما بعد موتهما زيادة في كرامته وأفضليته، وقد صح أن الله تعالى ردَّ عليه صلى الله عليه وسلم الشمس بعد مغيبها حتى صلى عليّ كرم الله وجهه العصر فكما أكرم بعود

(١) انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر ٣٣/١ بتصرف.

(٢) انظر رد المحتار إلى الدر المختار لابن عابدين الحنفي ٢٥٦/١ بتصرف.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في (١١) كتاب الجنائز (٣٦) باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل... الخ ٤٠/٧ حديث رقم ٩٧٦ عن أبي هريرة مثله.

(٤) تقدم تخريجه في ص ١٧.

الشمس والوقت بعد وفاته فكذلك أكرم بعود الحياة ووقت الإيمان بعد وفاته إكرامًا له أيضًا^(١).

قال الإمام السندي^(٢) لا يلزم من بكانه صلى الله عليه وسلم عند حضوره لقبر أمه قيام العذاب أو الكفر بها بل يمكن وجود ذلك مع النجاة والإسلام أيضًا، لكن من يقول بنجاة الوالدين لهم ثلاثة مسالك في ذلك:

- مسلك أنهما ما بلغت الدعوة، ولا عذاب على من لم تبلغه

الدعوة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٣)

فلعل من سلك هذا المسلك يقول في تأويل الحديث: إن الاستغفار فرع تصوير الذنب وذلك في أوان التكليف، ولا يعقل ذلك فيمن لم تبلغه الدعوة، فلا حاجة إلى الاستغفار لهم، فيمكن أنه ما شرع الاستغفار إلا لأهل الدعوة لا لغيرهم وإن كانوا ناجين، وأما من يقول بأنهما أحيا له صلى الله عليه وسلم فأما به فيحمل هذا الحديث على أنه كان قبل الإحياء، وأما من يقول بأنه تعالى يوقفهما للخير عند الامتحان يوم القيامة فهو يقول بمنع الاستغفار لهما قطعًا فلا حاجة له إلى تأويل.

أما الاستدلال على نجاتهما بأنهما ماتا في زمن الفترة فهو مبني على أصول الأشاعرة أن من مات ولم تبلغه الدعوى يموت ناجيًا، أما الماتريديّة فإن مات قبل مضي مدة يمكنه فيها التأمل ولم يعتقد إيمانًا ولا

(١) انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي ١/٣٢، ٣٤ بتصرف.

(٢) انظر شرح السندي على سنن النسائي ٢/٥٢٧، ٥٢٨ بتصرف.

(٣) سورة الإسراء الآية رقم (١٥).

كفرًا فلا عقاب عليه بخلاف ما إذا اعتقد كفرًا، وكذا لا عقاب على من اهتدى بعقله كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل فلا خلاف في نجاتهم، وعلى هذا فالظن في كرم الله تعالى أن يكون أبواه صلى الله عليه وسلم من أحد هذين القسمين بل قيل: إن أباه كلهم موحدون لقوله تعالى: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾^(١).

بالجملة كما قال المحققون: إنه لا ينبغي ذكر هذه المسألة إلا مع مزيد الأدب، وليمت من المسائل التي يضر جهلها أو يُسأل عنها في القبر، أو في الموقف فحفظ اللسان عن التكلم فيها إلا بخير أولى وأسلم^(٢).
قد تبين من خلال شرح وتحليل هذا الحديث أن سبب الورود يتصل اتصالاً مباشرًا بالفهم السديد للفظ الحديث.

(١) سورة الشعراء الآية رقم (٢١٩) نظر فتح الملهم بشرح صحيح مسلم للعلامة شيبير ٢٥١/٢، ٣٤ ينصرف.

(٢) نفس المرجع السابق ٢٥١/٢.

المبحث الثالث: تحية المسجد وحديث سَلِيك:

حديث سَلِيك الغطفاني فيه حجة لمذهب مالك رضي الله عنه وغيره ممن يرى منع الناظلة والإمام على المنبر استنادًا لسبب الورد وأنه قاصر على هذا الصحابي. ونص الحديث: عن جابر بن عبد الله أن سَلِيكًا جاء والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فجلس فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي ركعتين ثم أقبل على الناس فقال: (إذا جاء أحدكم والإمام يخطب فليصل ركعتين يتجاوز فيهما)^(١).

قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث: هذا الحديث فيه دلالة لمذهب الشافعي وأحمد وإسحاق وفقهاء المحدثين أنه إذا دخل الجامع يوم الجمعة والإمام يخطب استحب له أن يصلي ركعتين تحية المسجد ويكره الجلوس قبل أن يصلها، وأنه يستحب له أن يتجاوز فيهما ليعلم بعدهما الخطبة^(٢).

أما الرأي الثاني منع صلاة الركعتين والإمام يخطب، فهو مروى عن مالك والليث وأبي حنيفة والثوري وجمهور السلف من الصحابة والتابعين، وكذلك روي هذا القول عن عمر وعثمان وعلي وحجتهم الأمر بالإتصاف للإمام^(٣).

(١) الحديث أخرجه البخاري في (١١) كتاب الجمعة (٣٢) باب إذا رأى الإمام رجلاً... الخ، ٢٠٥/١. حديث رقم ٩٣٠ عن جابر بن عبد الله نحوه. وأخرجه مسلم في (٧) كتاب الجمعة (١٤) باب التحية والإمام يخطب ١٣٥/٦. حديث رقم ٨٧٥ عن جابر بن عبد الله نحوه.

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٣٦/٦ بتصرف.

(٣) نفس المرجع السابق ١٣٦/٦.

هذا وقد تأول من يقول بالمنع هذا الحديث بأن سُلَيْكًا كان عريانًا فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقيام ليراه الناس ويتصدقوا عليه وقد أجابوا عن هذا الحديث بأجوبة منها أن النبي صلى الله عليه وسلم أنصت له حتى فرغ من صلاته، وأن ذلك كان قبل أن يُنسخ الكلام في الصلاة ثم لما نسخ في الصلاة نُسخ أيضًا في الخطبة لأنها شطر صلاة الجمعة، وقد تواترت الروايات بمنع الكلام في الخطبة حتى لو بالنهاي عن المنكر كنهى اللاغي عن لغوه فإذا كان قول الرجل لصاحبه والإمام يخطب أنصت لغوًا كان قول الإمام للرجل قم فصلًا لغوًا أيضًا فثبت بذلك أن الوقت الذي كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر لسليكم بما أمره به إنما كان قبل النهي، وأما سليكم فكان ذا بذاعة فأراد صلى الله عليه وسلم أن يُشهره ليرى حاله، وكذلك قد وقع الاتفاق على أن الداخل والإمام في الصلاة تسقط عنه التحية، ولا شك أن الخطبة صلاة فتسقط عنه فيها^(١).

هذا ومما يستفاد من هذا الحديث جواز الكلام في الخطبة لحاجة وفيها جوازه للخطيب وغيره، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإرشاد إلى المصالح في كل حال وموطن، وأن تحية المسجد ركعتان وأن نوافل النهار ركعتان، وأن تحية المسجد لا تفوت بالجلوس^(٢).

(١) انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام العيني ٢٣١/٦-٢٣٤ بتصرف.

(٢) النووي على شرح صحيح مسلم ١٣٦/٦ بتصرف.

المبحث الرابع : حديث (قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)

هذا الحديث استدل به بعض الناس في غير موضعه، وحكموا على من يصلي بمسجد بجواره قبر لأحد الصالحين، أو لواقف المسجد ببطلان صلاته، بل جعلوا هذه اللعنة الواردة في الحديث شاملة له، وذلك بسبب عدم معرفة سبب ورود الحديث ورواياته ولم يققوا على ما قاله المحدثون والفقهاء في شرحهم للحديث.

- نص الحديث : عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) (١).
- الحديث الثاني: عن عائشة وعبدالله بن عباس قالوا: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة (٢) له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ما صنعوا (٣).

(١) أخرجه البخاري في (٨) كتاب الصلاة (٥٥) باب يدون عنوان ١٠٧/١ حديث رقم ٤٣٧ عن أبي هريرة مثله. وأخرجه مسلم في (٥) كتاب المساجد (٢) باب النهي عن بناء المسجد على القبور... الخ ١١/٥ حديث رقم ٥٣٠ عن أبي هريرة مثله.

(٢) خميصة: وهي ثوب خز أو صوف سَعْلَم، وكَيْل لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة، وكانت لباس الناس قديماً. فنظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٨١/٨٠/٢ مادة خمص.

(٣) أخرجه البخاري في (٨) كتاب الصلاة (٥٥) باب يدون عنوان ١٠٧/١ حديث رقم ٤٣٥ عن عائشة وابن عباس مثله. وأخرجه مسلم في (٥) كتاب المساجد (٢) باب النهي عن بناء المسجد على القبور... الخ ١١/٥ حديث رقم ٥٣١ عن عائشة وابن عباس مثله.

• الحديث الثالث: عن عائشة أم المؤمنين أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأيتها بالحيشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)^(١).

هذا الحديث برواياته المتعددة ينصبُ النهي فيه على من يأتي بعمل يشبه فعل اليهود والنصارى كما سيتضح من قول الفقهاء والمحدثين، غير أن هناك بعض من يزعم أن الحديث يشمل كل مسجد بجواره ضريح، أو قبر من القبور، وينهون الناس عن الصلاة في مثل هذه المساجد بدعوى أن ذلك من باب المحافظة على التوحيد، وأن ذلك مما يؤدي إلى الشرك، وهذا تخيل باطل لأن اتخاذ القبور مساجد والعكوف عليها، وتصوير الصور فيها، هو المؤدي للشرك وهو الممنوع.

معنى هذا الحديث الشريف على ما تعطيه رواياته من جميع طرقه النهي أن يقصد القبر بالصلاة عليه أو إليه تعظيماً لصاحب القبر أو للقبر، فإن ذلك كان ذريعة لمن سبق من الأمم إلى الشرك وعبادة القبور وأهلها، وقد اعتبر الشارع بهذا النهي هذه الذريعة فسدّها، وأغلق أبوابها على أمته لئلا يقعوا فيما وقع فيه الأمم قبلهم، وقد حقق الله رجاءه

(١) أخرجه البخاري في (٨) كتاب الصلاة (٤٨) باب هل تبنى قبور مشركي الجاهلية... الخ ١٠٥/١ حديث رقم ٤٢٧ عن عائشة مثله. وأخرجه مسلم في (٥) كتاب المساجد (٣) باب النهي عن بناء المسجد على القبور... الخ ١٠/٥ حديث رقم ٥٢٨ عن عائشة مثله.

واستجاب دعاءه، فليس في المسلمين من يعظم قبور الصالحين بالصلاة إليها أو عليها، نعم إن تيسر ألا يكون القبر محاذيًا له فالتيامن عنه أو التياسر هو السنة، فإن حاذى القبر في صلاته من غير ضرورة ولم يقصد بصلاته إليه إعظام القبر، ولا إجلال صاحبه كان مكروها كراهة تنزيه، ولم يبلغ درجة التحريم فضلا عن أن يكون شركا^(١).

هذا ولما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيمًا لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها، واتخذوها أوثانًا لعنهم ومنع المسلمين من مثل ذلك، فأما من اتخذ مسجدًا في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا التعظيم له ولا التوجه نحوه فلا يدخل في ذلك الوعيد^(٢).

وقد فعل ذلك أوائلهم - أي اليهود - ليمتأسوا بروية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم، ثم خلف من بعدهم خلف جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فاعبدوها، فحذر النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك، سدا للذريعة المؤدية إلى ذلك^(٣).

قد استشكل ذكر النصارى في الحديث لأن اليهود لهم أنبياء بخلاف النصارى فليس بين عيسى وبين نبينا صلى الله عليه وسلم نبي

(١) انظر كتاب حقيقة التوسل والوسيلة للشيخ موسى محمد علي، ص ١٩٢، ١٩٣ بتصرف.

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر ٢/٢٣٩.

(٣) نفس المرجع السابق ١/٦٣٤ بتصرف.

غيره وليس له قبر، والجواب أنه كان فيهم أنبياء لكنهم غير مرسلين كالحواريين أو الجمع في قوله (أنبيائهم) بإزاء المجموع من اليهود والنصارى، أو المراد بالاتخاذ أعم من أن يكون ابتداءً أو اتباعاً، فاليهود ابتدعت والنصارى اتبعت، ولا ريب أن النصارى تعظم قبور كثير من الأنبياء الذين تعظمهم اليهود، وقد خصَّ اليهود باللعنة في رواية أبي هريرة لأنهم ابتدأوا ابتداءً هذا الاتخاذ واتبعتهم النصارى فاليهود أظلم^(١).

هكذا ينبغي أن يفهم المحققون والراسخون في العلم أنه لو صح أن يهجر المسجد لأجل القبر طاعة لهذا الوهم لوجب أن يهجر مسجده عليه الصلاة والسلام، ولا تقصد روضته المطهرة وكيف يصح هذا ومسجده الشريف مما تشد إليه الرحال بنص الحديث الصحيح^(٢).

(١) انظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ١٠٩/٢ بتصريف.

(٢) إشارة للحديث الذي أخرجه البخاري في (٢٠) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١) باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٢٦١/١ حديث رقم ١١٨٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى). وكذلك أخرجه مسلم في (١٥) كتاب الحج (٩٥) باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ١٤١/٩ حديث رقم ١٣٩٧ عن أبي هريرة نحوه.

الخاتمة

إن مما يجدر أن نتعرض له في الخاتمة هو نتائج البحث وبعض التوصيات المتعلقة بموضوع البحث، ويمكن أن نجمل النتائج المتعلقة بالبحث فيما اتضح لنا جلياً من توقف الفهم الصحيح للحديث على معرفة سبب الورد، إضافة إلى أنه في بعض الأحيان قد يكون الحكم المبني على الحديث مقتصرًا على سببه بما لا يفيد التعميم ففي هذه الحالة لا ينبغي لنا أن نعدي الحكم إلى غير المسألة التي حدث فيها التخصيص، أما في حالة عدم التخصيص فيمكن أن يقاس على الحكم الأصلي القضايا والحوادث المشابهة.

هذا ومعرفة سبب الورد قد تساعد على إزالة تعارض أو خلاف في ظاهر الأمر، وبيان الحكمة المرادة من ذكر الحكم، وإدراك مقاصد الشريعة، وتعيين المبهم في متن الحديث بأن يسمى في سبب ورود الحديث، ثم إن معرفة سبب الورد تعد أحد الأدوات المهمة للمجتهد في استنباط الحكم الشرعي.

مما نوصي به في ختام هذا البحث أن يقوم الباحثون في علوم الحديث بطرق المواضيع ذات الأهمية في مصطلح الحديث لاسيما التي لم يكثر التأليف فيها، وإخراج المخطوطات ذات المواضيع النادرة والقيام بتحقيقها تحت إشراف لجنة من العلماء والمختصين في إحياء التراث

الإسلامي الذي لا يزال الكثير من كنوزه في حيز الخفاء ونشرًا لعلوم السنة لاسيما في عصرنا هذا الذي كثير فيه الإلحاد والطعن في السنة وأهلها، ولعمري ما حال من يفعل ذلك إلا كناطح صخرة يومًا ليوهيها، فليس من وراء طعنه إلا الخبال، ولن ينال من قدحه إلا الوبال.

هذا وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعلنا من خدام شرعه وحملته شريعته، وأن يتقبل أعمالنا، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وهو حسبي ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- ١/ الإبهاج في شرح المنهاج للإمام علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- ٢/ الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) دار الفكر - بيروت، لبنان، بدون تاريخ للطبع.
- ٣/ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للإمام أبي العباس شهاب الدين أحمد القسطلاني دار الفكر - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ٤/ إكمال المعلم بفوائد مسلم للإمام أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) دار الوفاء - مصر، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٨٨م تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل.
- ٥/ البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) دار المعرفة بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ٦/ التعريفات للإمام أبي الحسن علي بن محمد الحسين الجرجاني (ت ٨١٦هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- ٧/ حقيقة التوسل والوسيلة علي ضوء الكتاب والسنة تأليف الشيخ موسى محمد علي عالم الكتب - بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

- ٨/ حاشية رد المحتار على الدر المختار للإمام محمد أمين الشهير بابن عابدين، دار الفكر بيروت - لبنان الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
- ٩/ الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) دار الفكر - بيروت، لبنان، تحقيق أحمد محمد شاكر.
- ١٠/ الزواجر عن اقتراف الكبائر للإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ) دار الفكر - بيروت - لبنان ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
- ١١/ سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ١٢/ سنن الترمذي للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن مسرة السلمي (ت ٢٧٩ هـ) ومعه تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للإمام المبارك فوري (ت ١٣٥٣ هـ) دار الفكر - بيروت - لبنان ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ١٣/ سنن النسائي للإمام الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ) بشرح الإمامين السيوطي والسندي - دار الحديث، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- ١٤/ سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) مكتبة الصفا - مصر، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- ١٥ / صحيح البخاري للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - دار الصفا مصر - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- ١٦ / صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ومعه شرح الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) دار الفكر - بيروت - لبنان ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ١٧ / عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني دار الفكر - بيروت - لبنان - بدون تاريخ.
- ١٨ / غريب الحديث للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٥٧ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، تحقيق د. عبدالمعطي أمين قلعجي.
- ١٩ / فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) المكتبة السلفية - مصر، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ تحقيق محب الدين الخطيب.
- ٢٠ / فتح الملهم بشرح صحيح مسلم للإمام العلامة شبيرا أحمد العثماني (ت ١٣٦٩هـ) دار القلم - دمشق - سوريا الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).
- ٢١ / كشف اصطلاحات الفنون للعلامة محمد علي بن علي التهانوي الحنفي (ت ١١٥٨ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

- ٢٢ / لسان العرب للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ٢٣ / اللع في أسباب الحديث للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، تحقيق يحيى إسماعيل أحمد.
- ٢٤ / مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) دار الكتاب العربي - بيروت، لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ٢٥ / المستصفى من علم الأصول للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) دار الفكر - بيروت - لبنان بدون تاريخ.
- ٢٦ / المقامات السندسية للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) دار إحياء العلوم - بيروت، لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م تحقيق د. محمد عز الدين السعيد.
- ٢٧ / منتهى الآمال في شرح حديث إنما الأعمال للحافظ جلال الدين السيوطي دار ابن حزم - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م تحقيق أبي عبدالرحمن محمد عطية.
- ٢٨ / الموافقات في أصول الشريعة للإمام أبي إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) دار المعرفة بيروت - لبنان بدون تاريخ.
- ٢٩ / موقع شبكة السنة النبوية على الانترنت WWW. Alsonnah. Com

- ٣٠ / مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبدالعظيم
الزرقاني - دار الفكر بيروت - لبنان، الطبعة الأولى
١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ٣١ / النكت على كتاب ابن الصلاح للحافظ ابن حجر
العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) دار الراية بيروت - لبنان تحقيق
د. بسيع بن هادي العتر.
- ٣٢ / النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي
السعادات المبارك بن محمد بن الجزري ابن الأثير (ت
٦٠٦ هـ) دار الباز - مكة المكرمة تحقيق طاهر أحمد
الزاوي - محمود محمد الطناحي.